وقفة: مع الحسد

إنه داء الأمم السابقة، وأول ذنب عُصي به رب العالمين جل وعلا، وبسببه أُخرج إبليس اللعين من فضل الله ورحمته، إلى سخط الله ولعنته، أمرنا الله تعالى بالتعوذ منه، فاللهم إنا نعوذ بك من شر حاسد إذا حسد.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر**═، رواه أحمد والترمذي.

فالحسد يا عبد الله، سببُ كلّ الذنوب، فبالحسد يكثر الشر، وبالحسد تظهر المعاصي، وبالحسد يقع الحاسد في الغيبة، يتتبع العورات، ويبحث عن الزلات، لا يبالي في ارتكاب المحرمات، ولا يهمه أن يتصف بصفات اليهود والنصارى، إذ كان الحسد من صفاتهم، يقول الله عز اسمه عنهم:{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم } [البقرة: ١٠٩].

وإذا كان الحسد اعتراضٌ على قضاء الله وقدره، فإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمور التي يكثر فيها وحولها الحسد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالحاسد في الرزق معترضٌ على قول الله تعالى:{ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ } [النحل: ٧١]، ومن حسد الناس على العلم والحكمة أين هو من قول الله جل وعلا وتقدس:{يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ} [البقرة: ٢٦٩].

فيا من حسدت فلاناً على أولاده، لأن الله لم يرزقك، أو رزقك البنات، بالله قل لي: أليس هذا اعتراضاً على قول الله:{يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ

إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا} [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

ولمن حسد الناس في جمال خلقتهم، أو كثرة أموالهم، أو طيب أفعالهم، أو في أي شيء خطر ببالك، أين أنت من قول الجبار، من قول الخالق جل وعلا:{وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ} [النساء: ٣٢].

لقد أصبحنا وللأسف أيها الفضلاء، في زمن فيه ذو العلم محسود، وذو الخلق محسود، وذو الجاه محسود، وذو المنصب محسود، وذو المال محسود، وذو الأولاد محسود، الجارُ محسود، والصديق محسود، والأخ محسود، والعم محسود، فلا إله إلا الله رب العالمين:{ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ} [الزخرف: ٣٢].

فيا لله من كل حاسد، هل للحسّاد أوكلت القسمة بين العباد، ألا يعجبهم صنع الله، هل عندهم شك في عدل الله وحكمته، أليس الله هو القائل:{ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} [آل عمران: ٢٦].

وأليس هو القائل:{وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٖ} [الرعد: ٨]، بلى والله بلى هو القائل، وهو القائل أيضاً:{إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩].

فيا أخي الفاضل، ويا أختي الفاضلة: احذروا الحسد، احذروا الحسد فإنه داء عضال، ووباء قتال، لا يوقر كبيراً لكبره، ولا شريفاً لشرفه، ولا عالماً لعلمه.

فالحاسد في حسده في غم لا ينقطع، وعذاب لا ينتهي، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد عليها، يسخط عليه ربه، فيسد في

وجهه باب التوفيق.

فعلام الاعتراض على قضاء الله؟ هل نسينا أننا مسلمون، هل نسينا أن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه، فمنهم ذو السعة، ومنهم من قدر عليه رزقه، رفع بعضهم فوق بعضٍ درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمة ربك خير مما يجمعون، وهذه سنة الله في خلقه، حكمة تامة، وعدل كامل، ومن أراد السلامة في دينه فليلاحظ نفسه، وليطهر قلبه، وليقنع بما قسم الله له، وليسأل الله تعالى من فضله.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**═.

وفي سنن أبي داود بسندٍ جيد عن أبي هريرة وعبد الله بن كعب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب**═.

أيها الأحبة، إن الله سبحانه وتعالى أمركم بالاستعاذة من شر الحاسد فقال:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾} [الفلق: ١ - ٥].

وهذه السورة إخوتي الأفاضل، من أكبر أدوية الحسد، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها في الصباح والمساء، وفي أدبار الصلوات، وعند النوم.

فاحرصوا عليها، وعلى عامة الأذكار، فإنها من أسباب دفع شر الحاسد وحسده.

ومن أسباب دفع شر الحاسد أيضًا، تقوى الله تعالى، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ومن الأسباب التي تدفع شر الحسود: التوكل على الله، فإن من يتوكل على الله فهو حسبه، أي كافيه ومانعه.

كما أن من أسباب زوال الحسد، وشر الحاسد: هو الإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشراً، وبغياً وحسداً، يزداد المسلم إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة.

قال الله تعالى وتقدس:{وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾} [فصلت: ٣٤].

وأيضاً مما يُعين على كف شر الحاسد، أن تعلم أن الحاسد أولُ ضحايا الحسد، فهو مُعذب مهموم، ومريض مغموم، حيث قيل: (لم نر ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد)، وقول الآخر: عقوبة الحاسد من نفسه، حتى قال المؤمن الصادق:

أبقى لي الله حسَّادي وغمهم ::: حتى يموتوا بداءٍ غير مكنون.

واعلم رحمني الله وإياك قارئي الكريم، أن الحاسد يصلُه خمسُ عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود شيء، أولها: غم لا ينقطع، والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، والثالثة: مذمة لا يحسد عليها، والرابعة: يسخط عليه الرب، والخامسة: تغلق عليه أبواب التوفيق.

وقال آخر: الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جوعاً وغماً، ولا ينال عند الفزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال في الموقف إلا فضيحة ونكالاً، ولا ينال في النار إلا حراً وسلاسلاً وأغلالاً.

فيا عبد الله، ويا أيتها المسلمة المباركة، الرضا بقَسَم الله وعدله،

الرضا بقضائه وقدره، فلا حيلة في الرزق، ولا استطاعة لتغيير الخلقة، ولذا، لا للحسد، ولذا، أعوذ بالله من شر الحساد إذا حسدوا.

فعلام الاعتراض والله خالق؟ ولم التذمر والله رازق؟ ولم التسخط والله بكل شيء عليم؟ بيده مقاليد السماوات والأرض، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، سبحانه بعباده خبير بصير.

* * *